

النساء الجهاديات: عوامل الالتحاق والتأثير على كيان المجتمعات

أحلام حركات

ملخص تنفيذي:

عملت التنظيمات الإرهابية، على استقطاب كافة الشرائح المجتمعية من مختلف الجنسيات، وقد أخذت فئة النساء نصيب من تواجدهن داخل هذه التنظيمات، نتيجة لمجموعة من العوامل كالفقر وغياب العدالة المجالية والتفكك الأسري...إلخ. في هذا السياق، فإن موضوع النساء الجهاديات، الذي يشكل محور هذه الورقة البحثية، يأتي في ظل التنامي الكبير الذي تشهده مسألة التحاق النساء بالتنظيمات الإرهابية، وهو ما يهدد استقرار مجتمعاتهن الأصلية من جهة وكيان أسرهن من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية:

النساء الجهاديات؛ داعش؛ الجماعات الإرهابية؛ الفقر؛ الطائفية.

Summary:

Terrorist organizations have successfully recruited individuals from diverse societal backgrounds and nationalities, including women. Various factors, such as poverty, lack of social justice, and family breakdown, have contributed to women's involvement in these groups. This research paper focuses on the phenomenon of "jihadi women" amid the growing trend of women joining terrorist organizations, particularly ISIS. This trend poses a significant threat to the stability of their communities and the integrity of their families. The study aims to shed light on the risks associated with women's involvement in terrorist groups and explore the underlying factors driving this phenomenon.

Keywords:

Jihadi women, ISIS, terrorist groups, poverty, sectarianism.

(*) دكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية-كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية .
عين الشق-الدار البيضاء-المغرب.

مقدمة:

عرف المجتمع الدولي ما بعد مرحلة نهاية الحرب الباردة (١٩٤٧ - ١٩٩١)، تغيرات عميقة مست الخريطة الدولية لا سيما التحالفات والقيم السائدة داخل كل مجتمع، ولم يكن ذلك محض الصدفة، بل ارتبط بالتهديدات الأمنية، مما أثر في استقرار النظام الدولي وظهور الحركات الإرهابية، التي لجأت إلى استقطاب كافة الفئات^(١). وقد عمل تنظيم داعش على اتباع استراتيجية مبتكرة لتجنيد النساء، إذ يقدم للنساء بديل للانخراط في التنظيم حسب المقابلات التي قام بها مركز كارتر (Center Carter)، إذ إن أرض داعش تكون صالحة للفوائد الاجتماعية والمالية والتي قد لا تكون متوفرة في البلدان الأصلية للنساء^(٢).

كما كان للتنظيمات الإرهابية تهديد واضح على استقرار المجتمعات وعلى المرأة المهاجرة، فمخيم الهول بمحافظة الحسكة السورية، يشمل وجود تنوع جغرافي للنساء المهاجرات، مع ارتفاع عددهن من جنسية إلى أخرى، إذ يضم ١٤٥٣ امرأة، ويحتل المغرب المرتبة الأولى ب ٥٨٢، ثم مصر ب ٣٧٧، وتونس ب ٢٥١، والجزائر ب ٩٨، والصومال ب ٥٦، ولبنان ب ٢٩، والسودان ب ٢٤ امرأة، وفلسطين واليمن ب ٨ نساء، مع وجود ٩ نساء من جنسيات أخرى^(٣).

إن تأثير التنظيمات الإرهابية على فئة النساء، تم من خلال مجموعة من الوسائل التقليدية وغير التقليدية، إلا أنه حافظ على الدور التقليدي للمرأة، ولم يمنحها الفرصة للقتال إلى جانب الذكور.

بناء على ما سبق أن تم تحليله أعلاه وما سيتم تحليله في هذه الدراسة، فإن هذه الأخيرة تنطلق من تساؤل رئيسي، نتساءل فيه، عن العوامل التي أدت بالنساء إلى الالتحاق ببؤر التوتر، وكيف أثر ذلك على السياسة الخارجية لبلدانهن الأصلية؟

إن تحليل ورصد موضوع: "النساء الجهاديات: عوامل الالتحاق والتأثير على كيان المجتمعات"، سيبنى على محورين اثنين، الذي سيتم من خلالها الإجابة عن التساؤل المطروح أعلاه.

- المحور الأول: أسباب هجرة النساء الجهاديات.
- المحور الثاني: تأثير هجرة النساء الجهاديات على كيان المجتمع.

المحور الأول: أسباب هجرة النساء الجهاديات

أثارت الإشكالية المرتبطة بالحاضنة، إشكالات اجتماعية وسوسولوجية وقانونية، من حيث فهم البيئة الحاضنة، إذ هناك العديد من المطالب والأسباب والظروف التي تنشأ في بيئة مجتمعية التي تتحول فيما بعد إلى بيئة حاضنة لفكر متطرف يعمل على ممارسة استراتيجية الاستقطاب^(٤).

أولاً: الأسباب الاجتماعية والاقتصادية

تتنوع الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع النساء إلى الالتحاق ببيور التوتر والانخراط في التنظيمات الإرهابية، إلى انتشار ظاهرة الفقر وارتفاع نسبة البطالة والطلاق والتشتت الأسري وضعف المستوى التعليمي داخل المجتمعات جراء قلة الوعي بالأخطار الناجمة عن الممارسات الإرهابية، إذ تعمل الجماعات المتطرفة على التأثير في النساء عن طريق الجهاد باعتباره حلاً للخروج من كل تلك الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجههن^(٥). ويشير الباحث في علم الاجتماع أنطوان، على أن الأسباب الاجتماعية التي تدفع النساء للانضمام إلى الجماعات المتطرفة، ترتبط بالظروف الاجتماعية القاسية وإلى الطائفية والاغتراب الذي يعانيه النساء المسلمات في الدول الغربية، مما يدفعهن إلى الالتحاق بداعش^(٦).

فتيار التكفير والهجرة بالمغرب، كان يضم الفئات الاجتماعية التي لم تستفد من التنمية، إذ إن هذا التيار جاء نتيجة لظاهرة الفقر والتهميش، ومن النادر أن نجد من ضمن هذا التيار الفئات المثقفة وذوي التعليم العالي، فأغلب أعضائه هم فئة بسيطة ويمتهنون مهناً بسيطة، كالحرف التقليدية والباعة المتجولين والعاطلين عن العمل. ويعتبر ابن داود الخمي مؤسس تيار التكفير والهجرة من بين هذه النماذج، فهو كان يمارس مهنة بيع الأعشاب في الأسواق الأسبوعية، وكان يتعامل مع الفئات الهشة في البيع والشراء جراء ارتفاع ثمن الدواء في الصيدليات، مما جعله يؤثر في نفسية هذه الفئات في العديد من المناطق كالناظور وأسفي والمدن الصفيحية الواقعة على هامش مدينة الدار البيضاء^(٧).

وقد ساعد انتشار ظاهرة الفقر بإفريقيا، من انتقال تنظيم داعش من مسقط رأسه بسوريا إلى دول أفريقية الواقعة جنوب الصحراء، انطلاقاً من عام ٢٠٢١، إذ عمل التنظيم على استغلال ظاهرة الفقر بدول المنطقة وسهولة تهريب الأسلحة والتسلل عبر الحدود^(٨).

ومن الناحية الاجتماعية، أدى تيار التكفير والهجرة، إلى تشجيع الطلاق بين الأسر، إذ إن التحاق الزوجة بالتيار ورفض الزوج الالتحاق به، يؤدي بهذا الأخير إلى تطبيق زوجته^(٩).

ثانياً: الأسباب الدينية والطائفية

إلى جانب ما سبق والتطرق إليه أعلاه فيما يتعلق بالأسباب الاجتماعية والاقتصادية، فهناك أسباب أخرى تتجلى فيما هو ديني وطائفي، خاصة في ظل ما تعرفه المجتمعات العربية والإسلامية من انقسامات طائفية.

إذ إن انتشار البعد الطائفي يؤثر في التحاق النساء بالتنظيمات الإرهابية، من خلال العمل على إقناعهن بكون أن أهل السنة يتعرضن إلى عملية التصفية من طرف الروافض والشيعة في سوريا والعراق... إلخ، وهو ما دفع مجموعة من النساء إلى القتال في صفوف تنظيم داعش، ليس بناء على البعد الفكري للتنظيم وإنما على أساس الجهاد، دفاعاً عن أهل السنة^(١٠)، والأمر نفسه يمارس حتى من طوائف أخرى. إذ إن اللوازم الديني دوراً في التأثير في نفسية الجهاديات، إذ ينظرن إلى محاربة المهادب الدينية المنحرفة يدخل في إطار الواجب الديني^(١١).

في هذا السياق، عملت النساء الجهاديات، وانطلاقاً من الأسباب الدينية التي دفعتهن إلى الانخراط في تنظيم داعش، إلى قتل الأسيرات جراء عدم ارتدائهن لعباءاتهن، كما عملن على الاستمرار في تلقين العقيدة للأطفال والنساء^(١٢).

وإذا كانت ظاهرة الفقر قد ساعدت تنظيم داعش على الانتقال من سوريا إلى إفريقيا، فإن انعدام الطائفتين الشيعية والسنية لم تساعد داعش على تغلغل أكثر في القارة الإفريقية، على الرغم من أن هناك بعض الدول التي تحتضن الطائفتين، إلا أن العداوة ما بين الشيعة والسنة بإفريقيا لم تصل إلى نسبة العداوة الموجودة في كل من سوريا والعراق^(١٣).

المحور الثاني: تأثير هجرة النساء الجهاديات على كيان المجتمع

للتنظيمات الإرهابية تأثير جد واضح على كيان المجتمعات، هذا التأثير يشمل كافة القطاعات، كالسياحة، السياسة الخارجية، النمو الاقتصادي، السياسة الأمنية، التنوع البيولوجي والتفكك الأسري... إلخ.

وتظهر ملامح التفكك الأسري الذي يأتي نتيجة التحاق أفراد الأسرة بالتنظيمات الإرهابية، خاصة الأم التي تعتبر الحاضن والمحافظ على كيان الأسرة، إذ إن هجرة الأم للالتحاق بالتنظيمات الإرهابية يؤثر بدون شك على كيان أسرته، وهو ما يكشف عن وجود هشاشة في البنى الاجتماعية.

أولاً: تأثير عودة النساء الجهاديات ببلدانهن الأصلية

عملت مجموعة من الدول على فتح الباب أمام النساء الجهاديات العائدات من بؤر التوتر، وتعتبر مصر من التجارب الناجحة في استقبال النساء الجهاديات، لكون السجون المصرية تعد أول السجون التي شهدت عمليات ناجحة على مستوى إعادة

التأهيل من خلال المراجعة التي قام بها مجموعة من المنتمين إلى الجماعات المتطرفة، خاصة الجهاد الإسلامي، والجماعة الإسلامية، وإن كانت هذه المبادرة لم تأت من طرف الدول المصرية، وإنما تم من طرف قادة هذه الجماعات، من بينهن النساء، خاصة أن مصر سمحت بعودة ابنة أيمن الظواهري مؤسس تنظيم القاعدة^(١٤).

إلا أن هذه العودة كان لها تأثير في الاستقرار الاجتماعي للدول المستقبلية، إذ إن التدخل الأمريكي في أفغانستان، أدى إلى عزل طالبان عن السلطة مما أدى إلى تبعثر مقاتلي القاعدة، والتحقوا بدول أخرى كالבوسنة ومحاربة أنظمة بلدانهم وارتكاب جرائم إرهابية ضد هذه الأخيرة، مع تأسيس جماعات متطرفة، كالجماعة الإسلامية المقاتلة بالمغرب، والجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر، والجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا، وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وتنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية^(١٥). وفي القطاع السياحي، هناك تأثير كبير على هذه المجال من طرف الجماعات الإرهابية، ويظهر ذلك، من خلال عمليات خطف السياح الذي يعتبر من بين الأساليب التقليدية، إلا أنها تعد من المصادر الأساسية لتمويل الإرهاب. كما أن التنظيمات الإرهابية تلجأ إلى تدمير المواقع الأثرية^(١٦).

ثانياً: النساء الجهاديات داخل الهياكل التنظيمية للتنظيمات الإرهابية

إن الهياكل التنظيمية للجماعات الإرهابية تشهد مجموعة من المتغيرات من سنة إلى أخرى، جراء ظهور جيل جديد داخل التنظيمات الإرهابية أو بسبب العمليات الأمنية التي تؤدي إلى اعتقال بعض عناصر هذه التنظيمات أو من خلال القضاء على قادتها، مما يؤدي إلى العمل على إعادة النظر في ترتيب الأولويات بالنسبة لهذه التنظيمات^(١٧). وإذا كانت حركة طالبان، قد عملت على السيطرة على كابول عاصمة أفغانستان لأول مرة في عام ١٩٩٦، فإنها لجأت إلى منع النساء من العمل والتعلم، إلا أنها عملت على إقحام النساء داخل هياكلها التنظيمية^(١٨).

وينقسم الهيكل التنظيمي لداعش إلى ثلاثة مستويات^(١٩):

– المستوى الأول:

يضم المستوى الأول من تنظيم داعش، الجيل الأول المؤسس لتنظيم داعش، والذي ترجع جذوره إلى الجيل الأول الذي يمثله أبو مصعب الزرقاوي (٢٠٠٣-٢٠٠٦)، والجيل الثاني لأبوبكر البغدادي (٢٠٠٦-٢٠١٠)، والجيل الثالث الذي انضم إلى تنظيم داعش عن طريق البيعة بعدما تم الإعلان عن الخلافة في عام ٢٠١٤، في هذا المستوى تقوم عناصر داعش بوظيفة تولي المناصب داخل الهيئات الشرعية وعضوية مجلس الشورى والإعلام.

– المستوى الثاني:

في هذا المستوى نجد القيادات المتموقة ضمن الصف الثاني للتنظيم، ولهم وظيفة عسكرية للدفاع عن تنظيم داعش، مع القيام بوظيفة الاستخبارات، وهم عناصر جاءوا من حزب البعث، ومن جيش الموصل بالعراق بعد عملية الحل الذي شهدها هذا الحزب.

– المستوى الثالث:

دور العناصر الموجودة ضمن المستوى الثالث لتنظيم داعش، هو القيام بالترويج الإعلامي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مع القيام بتنفيذ الأعمال الإرهابية. هذا المستوى يضم جهازاً أساسياً يتمثل في الجهاز الإعلامي الذي يعمل ٢٤ ساعة. وقد رصد محمد أبورمان وحسن أبو هنية في كتابهما: "عاشقات الشهادة: تشكيلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية"، الصادر عام ٢٠١٧، عن مؤسسة فريديريش آيبرت بالأردن، بأن التنظيمات الإرهابية، حرصت على الحفاظ على الدور التقليدي للمرأة، إذ إن دور المرأة داخل التنظيمات الإرهابية لم يصل إلى المشاركة في القتال، وإنما كان فقط القيام بالتربية والترويج الإعلامي لتنفيذ العمليات الإرهابية، إلا أن أنه تم تأسيس كتيبة النساء التي تقوم بالعمليات الاستخباراتية والتجسس وتفتيش النساء عند الحواجز^(٢٠).

ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في الفتيات للالتحاق بكتيبة النساء للقيام بمهمة تفتيش النساء عند الحواجز، هو أن يكون سن الفتاة يتراوح ما بين ١٨ و ٢٥ سنة، مع شرط ثاني يرتبط بأن تكون الفتاة عزباء^(٢١).

خاتمة:

كشفت هذه الدراسة، على كون التنظيمات الإرهابية لم تقتصر على استقطاب الذكور فقط، وإنما استقطبت حتى النساء، مستغلة في ذلك الفقر والتفكك الأسري... إلخ. ولم تكتف هذه الجماعات الإرهابية على استقطاب النساء الجهاديات من الدول العربية والإسلامية، وإنما عملت على استقطاب النساء من مختلف الجنسيات، مما يكشف على قوة هذه التنظيمات في التأثير في نفسية النساء. إلا أن هذا الاستقطاب له تأثير في أفراد أسرة المرأة الملتحقة بالتنظيم إذ إنه يسهم في ارتفاع نسبة الطلاق وتشرد الأطفال، كما له تأثير في استقرار كيان المجتمعات، إذ غالبيةن يعملن على تهديد الأمن الداخلي لبلدانهن الأصلية.

الهوامش

- (١) خالد بشكيط، "التحديات اللاتماثيلية في منطقة الساحل الإفريقي: الإرهاب والجريمة المنظمة، دراسة في حدود العلاقة"، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، العدد ٦، (٢٠١٨)، ص ٢١٨.
- (٢) مركز كارتر، "النساء في داعش، تفكيك الديناميات المقعدة بين الجنسين في دعاية داعش للتجنيد"، فبراير ٢٠١٧، ص ١٠.
- (٣) علي طاهر الحمود، "مناقشات"، منشور في كتاب: ما بعد دولة الخلافة: الإيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟، (الناشر: مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتبة الأردن والعراق، عمان، ٢٠٢١)، ص ١٩٣.
- (٤) حسن أبوهنية، "مناقشات"، منشور في كتاب: ما بعد دولة الخلافة: الإيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟، (الناشر: مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتبة الأردن والعراق، عمان، ٢٠٢١)، ص ١٥٥.
- (٥) شرين محمد فهمي، "مخاطر تزايد ظاهرة الإرهاب النسائي في تونس: الأسباب والتداعيات"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد ٢١، (يناير ٢٠٢٤)، ص ١٢٣.
- (٦) وفاء عواد، "غسيل الدماغ طريق التنظيم الإرهابي إلى مخادع النساء"، جريدة البيان، الأحد ١ مارس ٢٠١٥، العدد ١٢٦٧٤، ص ٣٥.
- (٧) محمد مصباح، "الجهاديون المغاربة: جدل المحلي والعالمي"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، يناير ٢٠٢١، ص ٧٦-٧٧.
- (٨) براين غلين وليمز، "داعش في ساحة المعركة ما بعد الخلافة من رايات الفتح إلى التمرد الأزلي"، منشور في كتاب: ما بعد دولة الخلافة: الإيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟، (الناشر: مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتبة الأردن والعراق، عمان، ٢٠٢١)، ص ١٤٠.
- (٩) محمد مصباح، "الجهاديون المغاربة: جدل المحلي والعالمي"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، يناير ٢٠٢١، ص ٧٩-٨٠.
- (١٠) شرين محمد فهمي، "مخاطر تزايد ظاهرة الإرهاب النسائي في تونس: الأسباب والتداعيات"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد ٢١، (يناير ٢٠٢٤)، ص ١٢٣.
- (١١) علي طاهر الحمود، أحمد قاسم مفتن، "مخيم الهول.. تعقب للمعطيات واستشراف للحلول: ورقة سياساتية"، منشور في كتاب: ما بعد دولة الخلافة: الإيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟، (الناشر: مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتبة الأردن والعراق، عمان، ٢٠٢١)، ص ١٨٠.

- (١٢) براين غلين ويليامز، "داعش في ساحة المعركة ما بعد الخلافة من رايات الفتح إلى التمرد الأزلي"، منشور في كتاب: ما بعد دولة الخلافة: الإيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟، (الناشر: مؤسسة فريديش ايبتر، مكتبة الأردن والعراق، عمان، ٢٠٢١)، ص ١٢٥.
- (١٣) عبد الحق باسو، "العنف المتطرف يأخذ طابعا ساحليا: هل هي نشأة جيل ثالث من الإرهاب؟"، مجلة مركز الشرطة، العدد ٨، (أبريل ٢٠١٨)، ص ٣.
- (١٤) سعود الشرفات، "مكافحة التطرف: الاستراتيجية الوطنية الأردنية إنموذجا"، منشور في كتاب: ما بعد دولة الخلافة: الإيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟، (الناشر: مؤسسة فريديش ايبتر، مكتبة الأردن والعراق، عمان، ٢٠٢١)، ص ٢٠٠.
- (١٥) عبد الحق باسو، "العنف المتطرف يأخذ طابعا ساحليا: هل هي نشأة جيل ثالث من الإرهاب؟"، مجلة مركز الشرطة، العدد ٨، (أبريل ٢٠١٨)، ص ٢.
- (١٦) حاج شريف فوزية، "أثر الإرهاب على صناعة السياحة"، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، العدد الرابع، (٢٠١٧)، ص ٢٤٥-٢٤٦.
- (١٧) محمد أحمد مرسى، "التنظيمات الإرهابية الجهادية تحولات البنية التنظيمية وقدرة الدولة على المواجهة"، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، المجلد ١٩، العدد ٣، (يوليو ٢٠١٨)، ص ١٦٦.
- (١٨) عمرو الشوبكي، "طالبان وتنظيمات التطرف.. حدود التأثير"، مجلة آفاق استراتيجية، العدد ٤، (أكتوبر ٢٠٢١)، ص ١٠٣.
- (١٩) وفاء علي داود، "الإرهاب والثقة العام: دراسة حالة تنظيم داعش"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد ١٧، (يناير ٢٠٢٣)، ص ٧١-٧٢.
- (٢٠) محمد نور النمر، "مراجعة كتاب عاشقات الشهادة، تشكيلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية"، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ماي ٢٠١٧، ص ٢-٣.
- (٢١) نضال حمدان، "نساء داعش.. أدوار قذرة"، جريدة البيان، الأحد ١ مارس ٢٠١٥، العدد ١٢٦٧٤، ص ٣٥.